بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فهذه بعض الفوائد والقواعد المنتقاة من رسالة للقاضي أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير❁، وهو قاض معمر من كبار المفتين فى المغرب، ومن علماء أهل السنة والجماعة، وقد ولاه السلطان أبو الربيع القضاء بفاس، وكان يدرس بجامع الأجدع فيها، وله مؤلفات فى الفقه والاعتقاد منها هذه الرسالة "رسالة في ذم البدعة وأهلها"، وقد عاش أكثر من مائة عام، وتوفي سنة ٧١٩هـ

مميز ومضمون رسالته:

التحذير من الابتداع فى الدين، وموقف السلف من البدع والمبتدعة، غير أن غالب رسالته فى ذم المتصوفة ممن كانوا فى عصره والتحذير من بدعهم كالتتوييب والموائد والأذكار الجماعية والتحلييق وغير ذلك، والرد على شبههم، والرسالة فى جملتها جيدة، لو أنه اجتهد فى انتقاء الصحيح من الحديث، وعلى رسالته بعض الملاحظات بينها محقق الرسالة وهو الدكتور عواد المعتق خلال تحقيقاته على الرسالة، ومما امتازت به هذه الرسالة الآثار العقدية عن الصحابة والتابعين التى طرز بها رسالته، وكذلك بعض القواعد والتأصيلات النفيسة التى قررها خلال كتابته.

ولى مع هذه الرسالة وقفة فى بيان بعض القواعد والفوائد المستنبطة من خلال قراءتى لتلك الرسالة، وإلا فالفوائد كثيرة، فيرجع إلى الرسالة من أراد الاستزادة.

وهذه الرسالة مطبوعة ضمن "مجلة البحوث الإسلامية" العدد (٦٧) فى الصفحات (٢٥٦-١٩١)، بتحقيق المعتق كما أسلفت.
فاسأل الله تعالى أن ينفع بها ويثبتنا على السنة إن ربى لسميع الدعاء.

(١) تعريف البدعة

قال -رحمه الله- (ص:١٩٥): ((اعلم أن البدعة: ما خرج عن الكتاب والسنة والإجماع)).

(٢) خطورة البدعة

قال رحمه الله (ص:١٩٥): ((البدعة فتنة وبلاء عظيم على هذه الأمّة)).
وقال رحمه الله (ص:٢٥٥): ((والبدعة ضلالة قديمة وشجرة تعرقت وتفرعت، وانتشرت فى البلاد كما انتشر الكفر، فلا تزول إلى يوم القيامة، إلا من وفقه الله يقتدى بالسنة وأهلها)).

(٣) طريقة المبتدعة الطعن على العلماء وتشييخ أهل البدع ودعاة الضلال والتعصب لهم.

قال بعد أن بين بعض البدع التى كان يسير عليها أهل عصره (ص:١٩٧): ((وزعموا أنهم أظهروا الدين بذلك وأحيوه، وألقوا عندهم أن العلماء قطعوا طريق الله وحذروهم منهم .
فاعتقد بعضهم عداوتهم فافترقوا بكثرة أشياخهم على طوائف شتى كل طائفة تحيد إلى شيخها وتطعن فى الطائفة الأخرى وشيخها، فتوارثت لأجل ذلك المشاحنة والمباغضة بين الأشياخ حتى يود كل واحد منهم لو شرب دم الآخر بسبب حطام الدنيا، فباعوا الآخرة بالدنيا، فأضلوا من مخلوقات الله كثيراً، فأفسدوا بذلك دينهم وإيمانهم)).

(٤) البدعة أخطر وأكبر ذنباً من المعصية ووجه ذلك.

قال رحمه الله (ص:٢١٩): ((فإن قيل: ولأى شيء تنكرون فى رد العصاة للتوبة والطريق إلى الله ؟
فالجواب: ان نقول: إنما ردوهم من المعصية إلى البدعة، وقطعوهم عن طريق الله تعالى، وقد اتفق العلماء أن العاصى أحسن حالاً من المبتدع؛ لأنّ العاصى يزعم أنّه عاص، ويقول: نتوب ونرجع إلى الله تعالى.وأما المبتدع: فيزعم أنه على الحق حتى يموت على بدعته، ومن مات مبتدعاً، وجد قبره حفرة من حفر النار)). وقال رحمه الله (ص:٢٥٥): ((وترك السنّة أعظم وزراً من كل معصية، لا من الزنى ولا من شرب الخمر ولا من قتل النفس، عصمنا الله وإياكم منها بمنه وكرمه.قال الفقيه العالم الصالح الزاهد الورع أبو عبدالله محمد الفشتالى رحمه الله تعالى: "ضرر هذه المعاصى إنما هو فى الفروع التى هى أعمال الجوارح الظاهرة، وضرر هذه البدع إنما هو فى الأصول التى هى العقائد الباطنة، إذا انقطع الأصل ذهب الفرع والأصل، وإذا انقطع الفرع وبقى الأصل يرجى أن يحيى الفرع ولم تبطل بالكلية منفعة الأصل")).

الرقص والوجد والاهتزاز والصياح عند الموعظة من سنة السامرى وعبدة العجل.

قال رحمه الله (ص:٢٢٢-٢٢١): ((فإن قيل: فالشطح والاهتزاز مما يحرك الخشوع ويهيج الوجد، فلم أنكرتموه؟
فالجواب: أن نقول الرقص والتواجد أول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا لهم عجلاً جسداً له خوار ظلوا يرقصون حوله ويغنون، وهو دين الكفار، وعباد العجل، وقد تقدم فى حديث العرباض بن سارية أنه قال: وعظنا رسول الله موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، ولم يقل صرخنا ولا زعقنا، ولا ضربنا على رؤوسنا، ولا ضربنا على صدورنا، ولا رقصنا كما يفعل كثير من الجهال يصرخون عند الموعظة ويزعقون ويتناعقون.وهذا كله من الشيطان لعنه الله يلعب بهم، وهذا كلّه بدعة وضلالة)).

(٦) طريقة معرفة البدعة أن تنظر هل فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام أم لا؟.

قال رحمه الله (ص:٢٢٣-٢٢٢) بعد أن ذكر ما تقدم فى الفائدة السابقة: ((يقال لمن فعل هذا: أكان النبى صلى الله عليه وسلم أصدق الناس موعظة، وأنصح الناس لأمته، وأرق الناس قلباً، وأصحابه أرق الناس قلوباً، وخير الناس ممن جاء بعدهم، ولا يشك عاقل فى هذا، فما صرخوا عند موعظة ولا زعقوا ولا رقصوا، ولو كان هذا صحيحاً لكانوا أحق الناس بهذا أن يفعلوه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه بدعة وباطل ومنكر بيّن)).

(٧) البدعة من أسباب سوء الخاتمة.

قال رحمه الله (ص:٢٢٥): ((إن المبتدع الذى يموت على بدعته يبتليه الله بسوء الخاتمة... وقال أبو حامد: الأسباب التى تورث سوء الخاتمة، فذكر منها: البدعة، وذكر أبو الليث ذلك أيضاً)).

(٨) زيارة أهل البدع محرمة، لأن فيها تشجيع لهم.

قال رحمه الله (ص:٢٢٧): ((وكذلك الزيارة جائزة بين أهل السنة، ولها فضل عظيم، وأما بين أهل البدعة فهى حرام؛ لأن ذلك يهيج بدعتهم وضلالتهم)).

(٩) حال من يبتدع بدعة وينسبها للدين كالذى يدعى نقص الرسالة وخيانة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال رحمه الله (ص:٢٢٨-٢٢٧): ((ويقال للمبتدع الذى أحدث ما ليس عليه الأمة مثل ما ذكرنا من التحريم فى اللقمة والاجتماع للتوبة وغير ذلك، فيقال له: هذا دين أو ليس بدين؟ فإن قال: دين فقد كفر بالله ورسوله؛ لأنه كذب الله عز وجل فى كتابه، إذ قال عز وجل: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)، وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام خائناً فى رسالته إذ يقول فعله ولسان مقاله هذا من الدين لم يكمل ولم يأت به الرسول، ولو لم يقله بلسانه قاله بفعله ولسان حاله)).

قال رحمه الله (ص:٢٣٢): ((فإن قيل: لأى شيء أنكرتم السلام على المبتدعة، ومخالطتهم ومحبتهم والجلوس معهم، وهل فى ذلك إثم أم لا؟
فالجواب: أن نقول إنما أنكرنا ذلك لما تقدم –وذكر حديثاً ضعيفاً ثم قال- وقال الفضيل: ((من جالس صاحب بدعة أورثه الله العمى)) أى عمى القلب عن الطاعة والهدى.وقال : ((من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه))،بل يهجرون زجراً وردعاً وغضباً لله تعالى،

❁ هذه الرسالة ليست للقاضى أبى الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي وإنما هى لأبى الحسن الصغير المكناسى السوسى و فى " دليل مخطوطات خزانة الزاوية الناصرية بتمكروت " لمحمد المنون- وهو مشهور عند المغاربة باعتنائه بالخزانات و المخطوطات ، وقد قام على فهرسة العديد من الخزانات بالمغرب – وقال ايضا: أبو الحسن الصغير هذا ليس هو شارح الرسالة (يقصد رسالة ابن أبى زيد رحمه الله- يعنى الزرويلي -.و ذكر أن رسالة فى ذم البدع لأبى الحسن الصغير المكناسى موجودة ضمن مجموع رقمه١٧١٢.
و فى كتاب : (علماء المغرب و مقاومتهم للبدع و التصوف و القبورية و المواسم) لمصطفى باحو قال فى الصفحة ٨٩ أن الرسالة لأبى الحسن الصغير المكناسى السوسى ، و قال أنه حققها على أربع نسخ خطية و هى تحت الطبع بتحقيقه .
و قال باحو أيضا فى كتاب : " حكم الغناء فى مذهب المالكية " الصفحة ٢١ : متحدثا عن رسالة أخرى لأبى الحسن الصغير المكناسى و هى فى البدع و السماع : (و هذه الرسالة مخطوطة بالخزانة الحسنية رقم ١٢٢٢٦ ، و القرويين رقم ٣٢٨/١ فى ٨ أوراق ، ونسب خطأ للزرويلى . وله رسالة أخرى فى ذم البدع جيدة ، ما رأيت مثلها للمغاربة ، وقد حققتها على نسخ.و أظن أن الخطأ قد جاء على الدكتور عواد لعدم اعتماده على أى نسخة مغربية ، فقد قال فى مقدمة تحقيقه للرسالة : لقد قمت بالتحقيق معتمدا بعد الله على أربع نسخ خطية :
الأولى : رمزت لها- الأصل- مكانها- دار الكتب الوطنية بتونس ضمن مجموع تحت رقم ٣٠٤٦ .
الثانية : ورمزت لها- ب- ومكانها- دار الكتب الوطنية بتونس برقم ١٠١٠٠
الثالثة : ورمزت لها- ج- ومكانها- مركز الملك فيصل برقم ١٠٨١٧ .
الرابعة : ورمزت لها- د- ومكانها- مركز الملك فيصل برقم ١٢٩٢٤ ضمن مجموع . .

ولأنه لا يؤمن على مخالطهم أن يلقوا عليه شبهةً فتتمكن من قلبه، لذلك قال بعضهم: لا تمكن زائغ القلب من دينک)).

(١١) لا تغتر بنفسک فتجلس مع أهل البدع وتسکت عن باطلهم فتهلك.

قال رحمه الله (ص:٢٣٣): ((وإن قال قائل: عرفت بدعتهم ولا تغتر نفسى بغرورهم، بل نأكل معهم ونأخذ من أموالهم وأسكت عن حالهم، وندعهم فى أهوائهم، وأى شيء على فى ذلك واستسخارى بهم؟

فالجواب: إن هذا المسكين غرّه سراب الطمع، ووقع فى مهوات لا قعر لها، فأهلكته شهوته مع الهالكين وخسر مع الخاسرين ... وأى شيء أعظم من المداهنة على عرض الدنيا، وكذلك الجاه عندهم به يهلك، وفى فتاوى بعض الفاسيين: أن من جلس معهم أو مشى معهم أو تكلم معهم أو أكل معهم أو حضر مجلسهم فقد نقض الإسلام عروة عروة. قال: وكان أهل السنة وأهل الشرع والورع إذا نظروا إليهم يَثِبُون منهم كما يثب البعير إذا انحل عقاله)).

(١٢) لا غيبة لأهل البدع، والمحذّر منهم ومن بدعهم مأجور.

قال رحمه الله (ص:٢٣٨-٢٣٧): ((فإن قيل: قد نهى عن الغيبة، ولِمَ تغتابوهم؟

فالجواب: أن نقول لا غيبة فيهم إذا ذكروا فى حال بدعتهم وزيغهم، بل الخائض فيهم مأجور، ليقع الحذر منهم ومن مذهبهم الفاسد.... .
وإنما الغيبة إذا ذكروا بشيء من أبدانهم، وأما بدعتهم فلا)).

(١٣) من علامة صدق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم اتباع سنته وترک الابتداع.

قال رحمه الله (ص:٢٣٨): ((فإن قيل: هؤلاء القوم يحبون نبيهم، ويصلون عليه ويرجون شفاعته ولهم نية خالصة فى عبادتهم وأفعالهم لله تعالى.

فالجواب: أن نقول ما قال الحسن: ((لا يغرنكم قول من يقول المرء مع من أحب))، فإنک لا تلحق الأبرار إلا أن تعمل بعملهم واتباع سنتهم، فإن اليهود أحبوا موسى عليه الصلاة والسلام، وليسوا معه إذ لم يتبعوه وأهل البدع يحبون أنبيائهم وليسوا معهم إذ لم يتبعوهم بل كذبوا.
ولقد أحسن من قال:

من يدّع حب المرء ولم يكن ... بسنته متمسكاً فهو كاذب

أعلامة صدق المرء فى الحب أن يرى ....على منهج كانت عليه الحبايب

قول: والمقصود بذلک من يدعى حبهم ويزعم أنه يحشر معهم وهو على غير سبيلهم ومخالف لسنتهم.

(١٤) الرأس فى الضلالة إن مات تلحقه ذنوب أتباعه.

قال رحمه الله (ص:٢٤٢): ((وأما الشيخ فى البدائع المذكورة فهو ضال مضل وغوايته أشد على الناس من أبليس اللعين؛ لأن إبليس يخدع الناس بالوسوسة، وهذا الشيخ المبتدع يخدعهم بالمشاهدة، وكل من مات ماتت ذنوبه، إلا الشيخ المبتدع الذى يدعو الناس إلى البدعة؛ فإنه وإن مات لم تمت ذنوبه))

فالجواب: أن نقول قولک: وجدنا الطريق مسلوكاً واتبعناه، فهذا الجواب قديم أصله من الكفار لما عُرض عليهم الإسلام، قال الله تعالى حكاية عنهم: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)، ولا شک أن السنة فى البدائع كالإسلام فى الأديان....
وأما قولک: ما أحدثنا نحن شيئاً. فجوابه: أنه أحدثه بدعي عدو لدين الله واتبعته أنت.

(١٥) من هم العلماء حقاً الذين يستحقون الاقتداء.

قال رحمه الله (ص:٢٥٠): ((فإن قيل: قد قلتم إنه لا يقتدى إلا بالعلماء فى الدين، وهؤلاء شيوخنا علماء.

فالجواب: أن نقول إن العقلاء ينظرون للأشياء، ويميزون بين الأموات والأحياء، فما كل سحاب أبرق وأمطر، ولا كل عود أورق وأثمر، ولا كل مستدير هلال، ولا كل أخضر حلال، إنما يقتدى بالفقيه العالم المدرس العامل بالكتاب والسنة، العارف بهذه الآداب فى الملبس والمسكن والقوت، المؤثر للعزلة والخمول، الذى يعرض عن الهوى والفضول، ويواظب على الذكر والصلاة، ويكثر الصمت ويقلل الكلام، ويكتفى بما وجد، ويقلل المنام، ويوصى بالمعروف، ويحفظ الحدود، قليل الطمع، شديد الورع، لا يفرح بالدنيا إذا أقبلت، ولا يحزن عنها إذا أدبرت، همه وهمته فى آخرته، يكره ظهور حسناته، كما يكره ظهور سيئاته، يكره الجاه، ويحب فى الله ويبغض فى الله مشهور فى العلم، يستفاد منه كل خير)).

(١٦) كثرة وسمعة السالكين ليست دليلاً على الحق.

قال رحمه الله (ص:٢٥٤-٢٥٢): ((فإن قيل: هذا الطريق مسلوک وعليه خلق كثير فاتبعناه، وما أحدثنا نحن شيئاً فيكون جميع هؤلاء مع كثرتهم وفيهم العلماء وصلحاء وقوّام الليل وصوام النهار وحجاج لبيت الله الحرام، وغزاة فى سبيل الله وفعاّل المعروف، ووجوه البر، والدنيا عامرة بالفقهاء والسلاطين والخدام والحكام ولم ينهوا عن ذلک لو كان ذلک باطلاً.

فالجواب: أن نقول قولک: وجدنا الطريق مسلوكاً واتبعناه، فهذا الجواب قديم أصله من الكفار لما عُرض عليهم الإسلام، قال الله تعالى حكاية عنهم: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)، ولا شک أن السنة فى البدائع كالإسلام فى الأديان....
وأما قولک: ما أحدثنا نحن شيئاً. فجوابه: أنه أحدثه بدعي عدو لدين الله واتبعته أنت.

وأما الاستدلال بكثرة القوم الضالين فلا يغتر به عاقل؛ لأنّ أهل الكفر أكثر من أهل الإيمان والإسلام بأضعاف مضاعفة)) ثم ذكر حديث بعث النار وفيه: "أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار".

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

جمعها
خالد بن ضحوى الظفيرى
(فى ١٣/ذى القعدة/١٤٢٤هـ)

بعض القواعد والفوائد السلفية من رسالة

ذم البدع وأهلها

لأبي الحسن الصُّغيّر المكناسي السوسي
رحمه الله تعالى
- من علماء القرن التاسع الهجري -

فضيلة الشيخ
خالد بن ضحوي الظفيري
حفظه الله تعالى